

مختصر صحيح

نفس ابن البركة

الأبي عاصم مصطفى بن العدوي

اقتصره

أبو عبد الرحمن عوض بن لطفى

الجزء الثاني

دار الفوائد

دار البركة

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب : مختصر صحيح تفسير ابن كثير
اسم المؤلف : أبو عبد الرحمن عوض لطفي الجزار
اسم المحقق : المؤلف
القطع : ١٧ x ٢٤
عدد الصفحات : ١٣٢٤
عدد المجلدات : ١
سنة الطبع : ٢٠٠٧ م

الطبعة الأولى

٥١٤٢٨ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع : ١٥٧٤٧ / ٢٠٠٧

دار الفوائد

طبع. نشر. توزيع

دار البرزخ

المركز الرئيسي : فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع المنصورة : ٣٣ شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

آياتها ١١٠ تفسیر سورة الکہف مکیہ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ »
وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ » .
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فَيَمَّا لَيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكْتُوبٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ أَنَّهُ تَعَالَى يَحْمَدُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ عِنْدَ فَوَاتِحِ الْأُمُورِ وَخَوَاتِمِهَا ، فَإِنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ، وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْزَالِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، إِذْ أَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا لَا إِعْوجَاجَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ ، بَلْ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيلًا نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ أَيُّ : لَمْ يَجْعَلْ فِيهِ إِعْوجَاجًا وَلَا زَيْغًا وَلَا مِيلًا ، بَلْ جَعَلَهُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَيَمَّا ﴾ أَيُّ : مُسْتَقِيمًا ﴿ لَيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ أَيُّ : لِمَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ ، يُنْذِرُهُ ﴿ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ عِقُوبَةً عَاجِلَةً فِي الدُّنْيَا ، وَآجِلَةً فِي الْآخِرَةِ ﴿ مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ أَيُّ : مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَيُّ : بِهَذَا الْقُرْآنِ ، ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ أَيُّ : مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ جَمِيلَةً ﴿ مَكْتُوبٍ فِيهِ ﴾ فِي تَوَاسُطِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ - وَهُوَ الْجَنَّةُ - خَالِدِينَ فِيهِ ﴿ أَبَدًا ﴾ دَائِمًا لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ : نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أَيُّ : بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي افْتَرَوْهُ وَاتَّفَكَوْهُ مِنْ عِلْمٍ ﴿ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ أَيُّ : لِأَسْلَافِهِمْ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً نُصِبَ عَلَى التَّمْيِيزِ ، تَقْدِيرُهُ : كَبُرَتْ كَلِمَتُهُمْ هَذِهِ كَلِمَةً . وَهَذَا تَبَشِيرٌ لِقَالَتِهِمْ وَاسْتِعْظَامُ

لَا فِكْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَي: لَيْسَ لَهَا مُسْتَدَّ سِوَى قَوْلِهِمْ، وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَافْتِرَاؤُهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنْ يَقُولُوا إِلَّا كَذِبًا﴾.

فَلَعَلَّكَ بَنِيعَ نَفْسِكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٣﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِرَسُولِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فِي حُزْنِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لَتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ وَبُعْدِهِمْ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعَ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] بَاخِعٌ، أَي: مُهْلِكٌ نَفْسَكَ بِحُزْنِكَ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعَ نَفْسِكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿أَسَفًا﴾ أَي: لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ أَبْلِغْهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ، فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارًا فَانِيَةً مُزِينَةً بِزِينَةِ زَائِلَةٍ، وَإِنَّا جَعَلْنَا دَارَ اخْتِبَارٍ لَا دَارَ قَرَارٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِزَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَفَرَاغِهَا وَانْقِضَائِهَا وَذَهَابِهَا وَخَرَابِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا﴾ أَي: وَإِنَّا لَمُصِيرُوهَا بَعْدَ الزَّيْنَةِ إِلَى الْخَرَابِ وَالْدَّمَارِ، فَتَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهَا هَالِكًا ﴿صَعِيدًا جُرًّا﴾ لَا يُنْبِتُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَقِيلَ: الصَّعِيدُ: الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَجَرٌ وَلَا نَبَاتٌ.

أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴿١﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِتْرًا عَدَدًا ﴿٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿٤﴾

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَالْإِخْتِصَارِ، ثُمَّ بَسَطَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ﴾ يَعْنِي: يَا مُحَمَّدٌ ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾ أَي: لَيْسَ أَمْرُهُمْ عَجِيبًا فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا. وَأَمَّا الْكَهْفُ فَهُوَ: الْغَارُ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ الْمَذْكُورُونَ، وَأَمَّا الرَّقِيمُ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَقْوَالٌ مِنْهَا: وَادٍ قَرِيبٌ مِنْ أَيْلَةَ، وَالرَّقِيمُ: اسْمُ الْوَادِي، وَمِنْهَا: هُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ كَهْفُهُمْ، وَمِنْهَا: الْجَبَلُ الَّذِي فِيهِ الْكَهْفُ، وَمِنْهَا: أَنَّ الرَّقِيمَ: الْكِتَابُ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أُولَئِكَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ لِئَلَّا يَفْتِنُوهُمْ عَنْهُ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ فَلَجَبْتُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ لِيَخْتَفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا حِينَ دَخَلُوا سَائِلِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ بِهِمْ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ أَي : هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرْحَمْنَا بِهَا وَتَسْتُرْنَا عَنْ قَوْمِنَا ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أَي : وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا ، أَي : اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رُشْدًا . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ أَي : أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حِينَ دَخَلُوا إِلَى الْكَهْفِ ، فَتَأَمَّوْا سِنِينَ كَثِيرَةً ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أَي : مِنْ رَقَدَتِهِمْ تِلْكَ ، وَخَرَجَ أَحَدُهُمْ بِدَرَاهِمَ مَعَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ بِهَا طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنُعَلِّمَهُمُ الْآيَاتِ الْخَرِيبِ ﴾ أَي : الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِمْ ﴿ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ قِيلَ : عَدَدًا ، وَقِيلَ : غَايَةً ، فَإِنَّ الْأَمَدَ : الْعَايَةَ .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴿١٦﴾ مِنْ هَاهُنَا شَرَعَ فِي بَسْطِ الْقِصَّةِ وَشَرَحَهَا ، فَذَكَرَ تَعَالَى : أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ وَهُمْ الشَّبَابُ ، وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلْسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ ، هَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شَبَابًا ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاضُلِهِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى وَصَبَرْنَاهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ ، وَمُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنُّعْمَةِ ، ﴿ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ﴾ وَلَكِنْ : لِنَقِي التَّأْيِيدَ ، أَي : لَا يَقَعُ مِنَّا هَذَا أَبَدًا ، لَا نَأْتِي لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا ، وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ : ﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ أَي : بَاطِلًا وَكَذِبًا وَهَبْتَانًا .

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أَي : هَلَّا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ دَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا ؟! ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ يَقُولُونَ : بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَادِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ ، ﴿ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ أَي : وَإِذَا فَارَقْتُمُوهُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ بِأَدْيَانِكُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ فَفَارِقُوهُمْ أَيضًا بِأَدْيَانِكُمْ ، ﴿ فَأَوْدَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ، أَي : يَسْطُرْ عَلَيْكُمْ رَحْمَةً يَسْتُرُكُمْ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ ﴿ وَيُهَيِّئْ

لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ ۖ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ ۖ مَرَفَقًا ۖ أَيُّ : أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هَرَابًا إِلَى الْكَهْفِ ، فَأَوُوا إِلَيْهِ فَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، وَتَطَلَّبَهُمُ الْمَلِكُ ، فَيَقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ وَعَمَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ .

❖ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ۚ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿٧﴾

فَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَابَ هَذَا الْكَهْفِ كَانَ مِنْ نَحْوِ الشِّمَالِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا دَخَلَتْهُ عِنْدَ طُلُوعِهَا تَرَاوُرُ عَنْهُ ۖ ذَاتَ الْيَمِينِ ۖ أَيُّ : يَتَقَلَّصُ الْفَيْءُ يَمَنُهُ ۖ تَرَاوُرُ ۖ أَيُّ : تَمِيلُ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كَلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأَفْقِ تَقَلَّصَ شُعَاعُهَا بِارْتِفَاعِهَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ۖ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ۖ أَيُّ : تَدْخُلُ إِلَى غَارِهِمْ مِنْ شِمَالِ بَابِهِ ، وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ : ۖ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ۖ تَتَرَكَّبُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ، وَأَرَادَ مِنَّا فَهْمَهُ وَتَدَبُّرَهُ ، وَلَمْ يُخَيِّرْنَا بِمَكَانِ هَذَا الْكَهْفِ فِي أَيِّ الْبِلَادِ مِنَ الْأَرْضِ ، إِذْ لَا فَائِدَةَ لَنَا فِيهِ وَلَا قَصْدٌ شَرْعِيٌّ ، ۖ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ۖ أَيُّ : فِي مُتَسَعٍ مِنْهُ دَاخِلًا بِحَيْثُ لَا تَمَسُّهُمْ إِذْ لَوْ أَصَابَتْهُمْ لَأَحْرَقَتْ أَبْدَانَهُمْ وَيَتَابَهُمْ ۖ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۖ حَيْثُ أَرْشَدَهُمْ إِلَى هَذَا الْغَارِ الَّذِي جَعَلَهُمْ فِيهِ أَحْيَاءَ ، وَالشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيهِ لَيَبْقَى أَبْدَانُهُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ۖ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۖ ثُمَّ قَالَ : ۖ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ الْآيَةُ . أَيُّ : هُوَ الَّذِي أَرْشَدَهُ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ إِلَى الْهُدَايَةِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَحَسِبْنَاهُمْ ائْتِظَافًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقِلَبْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۚ وَكَلْبُهُم بَنَاسُطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿٨﴾

ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِم بِالنُّومِ لَمْ تَنْطَبِقْ أَعْيُنُهُمْ ، لِئَلَّا يُسْرَعَ إِلَيْهَا الْبَلَى ، فَإِذَا بَقِيَتْ ظَاهِرَةٌ لِلْهَوَاءِ كَانَ أَبْقَى هَا ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ۖ وَحَسِبْنَاهُمْ ائْتِظَافًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الذَّنْبِ أَنَّهُ يَنَامُ فَيُطَبَّقُ عَيْنًا وَيَفْتَحُ عَيْنًا ثُمَّ يَفْتَحُ هَذِهِ وَيُطَبَّقُ هَذِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ۖ وَنُقِلَبْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : يُقْبَلُونَ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ لَمْ يَقْبَلُوا لَأَكَلَتْهُمْ الْأَرْضُ .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بِسِطْرٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الْوَصِيدُ: الْفَنَاءُ، وَهُوَ الْبَابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨] أَي: مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابُ، وَهَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ حَيْثُ يَرِيضُ بِبَابِهِمْ كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ، وَكَانَ جُلُوسُهُ خَارِجَ الْبَابِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ، وَشَمِلَتْ كُلُّهُمْ بَرَكَتُهُمْ، فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَهَذَا فَإِنَّدُهُ صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ، فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَخَبَرٌ وَشَأْنٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ أَي: أَنَّهُ تَعَالَى أَلْفَى عَلَيْهِمُ الْمَهَابَةَ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ نَظَرُ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا هَابَهُمْ، لِمَا أُلْبَسُوا مِنَ الْمَهَابَةِ وَالذُّعْرِ.

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿١٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى: كَمَا أَرْقَدْنَاهُمْ بَعَثْنَاهُمْ صَحِيحَةً أَبْدَانَهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَأَبْشَارُهُمْ، لَمْ يَفْقِدُوا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ شَيْئًا، وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعِ سِنِينَ، وَلِهَذَا تَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أَي: كَمْ رَقَدْتُمْ؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّهُ كَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ فِي أَوَّلِ نَهَارٍ وَاسْتِيقَاضُهُمْ كَانَ فِي آخِرِ نَهَارٍ، وَلِهَذَا اسْتَدْرَكُوا فَقَالُوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴿أَي: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِكُمْ، وَكَأَنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ نَوْعٌ تَرَدَّدٌ فِي كَثْرَةِ نَوْمِهِمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَهَمِّ فِي أَمْرِهِمْ إِذْ ذَاكَ، وَهُوَ احْتِيَاجُهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَقَالُوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ أَي: فَضَيْتِكُمْ هَذِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ دَرَاهِمَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، فَتَصَدَّقُوا مِنْهَا وَبَقِيَ مِنْهَا، فَلِهَذَا قَالُوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أَي: مَدِينَتِكُمْ الَّتِي خَرَجْتُمْ مِنْهَا ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أَي: أَطْيَبَ طَعَامًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أَي: فِي خُرُوجِهِ وَذَهَابِهِ وَشِرَائِهِ وَإِيَابِهِ، يَقُولُونَ: وَلْيَتَخَفْ كُلُّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ أَي: وَلَا يُعْلِمَنَّ ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أَي: إِنْ عَلِمُوا بِمَكَانِكُمْ ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يَعْنُونَ أَصْحَابَ دِفْيَاثُوسَ، يَخَافُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَكَانِهِمْ، فَلَا يَرَالُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِلَى أَنْ يُعِيدُوهُمْ فِي مِلَّتِهِمْ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا أَوْ يَمُوتُوا، وَإِنْ وَافَقْتُمُوهُمْ عَلَى الْعُودِ فِي الدِّينِ فَلَا فَلَاحَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٥٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أَي : أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمُ النَّاسَ وَذَكَّرُوا : أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْخُرُوجَ لِيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِي شِرَاءِ شَيْءٍ هُمْ لِيَأْكُلُوهُ . فَجَعَلَ لَا يَرَى شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِ الْبَلَدِ الَّتِي يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا ، فَجَعَلَ يَتَحَيَّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ : لَعَلَّ بِي جُنُونًا أَوْ مَسًّا أَوْ أَنَا حَالِمٌ ، وَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا بِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَهْدِي بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ عَشِيَّةَ أَمْسٍ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ تَعْجِيلَ الْخُرُوجِ مِنْ هَاهُنَا لَأَوَّلَى لِي ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَجُلٍ مِمَّنْ يَبِيعُ الطَّعَامَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَا مَعَهُ مِنَ النَّفَقَةِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَبِيعَهُ بِهَا طَعَامًا ، فَلَمَّا رَأَاهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْكَرَهَا وَأَنْكَرَ ضَرْبَهَا ، فَدَفَعَهَا إِلَى جَارِهِ وَجَعَلُوا يَتَدَاوُلُونَهَا بَيْنَهُمْ ، فَحَمَلُوهُ إِلَى وَلِيِّ أَمْرِهِمْ ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ وَخَبَرِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِهِ ، وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي حَالِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ قَامُوا مَعَهُ إِلَى الْكَهْفِ - مَلِكُ الْبَلَدِ وَأَهْلُهَا - حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالَ هُمْ : دَعُونِي حَتَّى أَتَقَدَّمَكُمْ فِي الدَّخُولِ لِأُعْلِمَ أَصْحَابِي ، فَدَخَلَ فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَا يَذَرُونَ كَيْفَ ذَهَبَ فِيهِ وَأَخْفَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَبْرَهُمْ ، وَيُقَالُ : بَلْ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ وَرَأَوْهُمْ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ وَاعْتَنَقَهُمْ ، ثُمَّ وَدَّعُوهُ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَعَادُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَتَوَقَّاهُمُ اللَّهُ ﷻ فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ أَي : فِي أَمْرِ الْقِيَامَةِ ، فَمِنْ مُثَبِّتٍ لَهَا وَمِنْ مُنْكَرٍ ، فَجَعَلَ اللَّهُ ظُهُورَهُمْ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ حُجَّةً لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ أَي سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ كَهْفِهِمْ وَذَرُّوهُمْ عَلَى حَالِهِمْ ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنَّفُودِ ، وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مُحْمُودُونَ أَمْ لَا ؟ فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذَّرُ مَا فَعَلُوا .

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٥١﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُحَرَّرًا عَنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي عِدَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فَحَكَى ثَلَاثَةً أَقْوَالٍ ، فَدَلَّ

عَلَى أَنَّهُ لَا قَائِلَ بِرَابِعٍ ، وَلَمَّا ضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَحْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ أَي : قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ ، كَمَنْ يَزِمِي إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْرِفُهُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُصِيبُ ، وَإِنْ أَصَابَ فَلَا قَصْدَ ، ثُمَّ حَكَى الثَّالِثَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَوْ قَرَّرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَثِيرٌ ﴾ فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ ﴾ إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أَي : مِنَ النَّاسِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَشْنَى اللَّهُ ﷻ كَانُوا سَبْعَةً . ﴿ فَلَا تُعَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرًا ﴾ أَي : سَهْلًا هَيِّنًا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ ﴿ وَلَا تَسْخَفْتَ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أَي : فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ أَنْفُسِهِمْ ﴿ رَحْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ أَي : مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كَلَامِ مَعْصُومٍ ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَّةَ فِيهِ ، فَهُوَ الْمُقَدَّمُ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَقْوَالِ .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا ﴿١٨﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٩﴾

هَذَا إِرْشَادٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْأَدَبِ فِيمَا إِذَا عَزَمَ عَلَى شَيْءٍ لِيَفْعَلَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قِيلَ : مَعْنَاهُ إِذَا نَسِيتَ الْإِسْتِثْنَاءَ فَاسْتَشْنَى عِنْدَ ذِكْرِكَ لَهُ وَلَوْ إِلَى سَنَةٍ . وَيَحْتَمِلُ فِي الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَرشَدَ مَنْ نَسِيَ الشَّيْءَ فِي كَلَامِهِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ النَّسْيَانَ مَنْشُؤُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا قَالَ فَتَى مُوسَى : ﴿ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ ، وَذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ ، فَإِذَا ذَهَبَ الشَّيْطَانُ ذَهَبَ النَّسْيَانُ ، فَذَكَرُ اللَّهِ سَبَبٌ لِلذِّكْرِ ، وَهَذَا قَالَ : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ أَي : إِذَا سُئِلْتَ عَنْ شَيْءٍ لَا تَعْلَمُهُ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ ، وَتَوَجَّهْ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُوفِّقَكَ لِلصَّوَابِ وَالرُّشْدِ فِي ذَلِكَ .

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاذًا وَتَسْعًا ﴿٢٠﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾

هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِمِقْدَارِ مَا لَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ مِنْذُ أَرْقَدَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمُ اللَّهُ وَأَعَثَّرَ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الزَّمَانِ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثِائِةَ سَنَةٍ تَزِيدُ تِسْعَ سِنِينَ بِالْهَلَالِيَّةِ وَهِيَ ثَلَاثِائِةَ سَنَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ ، فَإِنْ تَفَاوَتْ مَا بَيْنَ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ

ثَلَاثَ سِنِينَ ، فَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثِ آيَةً ﴿ وَارْزُقُوا نِسَاءً ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ أَيُّ : إِذَا سُئِلْتَ عَنْ لُبِّهِمْ ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ فِي ذَلِكَ وَتَوْقِيفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا تَتَقَدَّمْ فِيهِ بِشَيْءٍ ، بَلْ قُلْ فِي مِثْلِ هَذَا : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبٌ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ ﴾ أَيُّ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَمَنْ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمَعْ ﴾ أَيُّ : أَنَّهُ لَبِصِيرٌ بِهِمْ سَمِيعٌ هُمْ ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : مَا أَبْصَرَ اللَّهُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ وَأَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ أَيُّ : أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ وَلَا نَصِيرٌ ، وَلَا شَرِيكَ وَلَا مُشِيرٌ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ .

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴿٢٨﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولُهُ ﷺ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَإِنْبَاغِهِ إِلَى النَّاسِ ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ﴾ أَيُّ : لَا مُعَيَّرَ لَهَا وَلَا مُحَرَّفَ وَلَا مُؤَوَّلَ . ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أَيُّ : مَلْجَأً . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : يَقُولُ وَإِنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ لَمْ تَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ لَا مَلْجَأَ لَكَ مِنَ اللَّهِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أَيُّ : اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ، وَيَهْلِكُونَهُ ، وَيَحْمَدُونَهُ ، وَيُسَبِّحُونَهُ ، وَيُكَبِّرُونَهُ ، وَيَسْأَلُونَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سِوَاءَ كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ ، أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضَعَفَاءَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : وَلَا تُجَاوِزُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، يَعْنِي : تَطْلُبْ بِهِمْ أَصْحَابَ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ أَيُّ : شُغِلَ عَنِ الدِّينِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِ بِالدُّنْيَا ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ أَيُّ : أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ سَفَهٌ وَتَفْرِيطٌ وَضَيَاعٌ ، وَلَا تَكُنْ مُطِيعًا لَهُ وَلَا مُحِبًّا لِطَرِيقَتِهِ ، وَلَا تَغْبِطْ بِهَا هُوَ فِيهِ .

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ؕ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ؕ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ؕ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ؕ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ : هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ ﴾ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿ هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ أَيُّ : أَرَصَدْنَا ﴿ لِلظَّالِمِينَ ﴾ ، وَهُمْ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أَيُّ : سُورُهَا . ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ الْآيَةُ . رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : الْمُهْلُ : الْمَاءُ الْغَلِيظُ كَالْدَّمِ وَالْقَيْحِ ، فَهُوَ أَسْوَدُ مُتَيْنِ غَلِيظٌ حَارٌّ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ أَيُّ : مِنْ حَرِّهِ ، إِذَا أَرَادَ الْكَافِرُ أَنْ يَسْرِبَهُ وَقَرَبَهُ مِنْ وَجْهِهِ شَوَاهُ ، حَتَّى يَسْقُطَ جِلْدُ وَجْهِهِ فِيهِ ﴿ يَنْسُ الشَّرَابُ ﴾ أَيُّ : يَنْسُ هَذَا شَرَابًا ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أَيُّ : وَسَاءَتْ النَّارُ مَنْزِلًا ، وَمَقِيلًا ، وَمَجْتَمَعًا ، وَمَوْضِعًا لِلارْتِفَاقِ .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١١﴾

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ ثَنَّى بِذِكْرِ السُّعَدَاءِ : الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَلَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ، وَالْعَدْنُ الْإِقَامَةُ . ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أَيُّ : مِنْ تَحْتِ غُرْفِهِمْ وَمَنَارِهِمْ . ﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ أَيُّ : مِنَ الْحِلْيَةِ ﴿ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ فَالسُّندُسُ : ثِيَابٌ رِفَاعٌ رِفَاقٌ كَالْقُمَصَانِ ، وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا . وَأَمَّا الْإِسْتَبْرَقُ : فَغَلِيظُ الدِّيَبَاجِ وَفِيهِ بَرِيقٌ . ﴿ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ الْإِتِّكَاءُ . قِيلَ : الْإِضْطِجَاعُ ، وَقِيلَ : التَّرَبُّعُ فِي الْجُلُوسِ . وَالْأَرَائِكُ : جَمْعُ أَرِيكَةٍ : وَهِيَ السَّرِيرُ تَحْتَ الْحُجْلَةِ . ﴿ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أَيُّ : نِعْمَتِ الْجَنَّةِ ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أَيُّ : حَسُنَتْ مَنْزِلًا وَمَقِيلًا وَمُقَامًا ، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ : ﴿ يَنْسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِحَدِيثِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ ﴿١٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَلَهُمَا نَهْرًا ﴿١٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١٥﴾

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿١٦﴾

يَقُولُ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذِكْرِهِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ مَجَالَسَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَافْتَخَرُوا عَلَيْهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَحْسَانِهِمْ فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِرَجُلَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ ﴿لَا حَذِيهَمَا جَنَّتَيْنِ﴾ أَيُّ : بُسْتَانَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ مَخْفُوفَتَيْنِ بِالنَّخِيلِ الْمُحْدَقَةِ فِي جَنَابَتَيْهَا ، وَفِي خِلَالِهَا الزَّرُّوعُ ، وَكُلُّ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالزَّرُّوعِ مُثْمَرٌ مُّقْبِلٌ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ إِذْ أَتَتْهُمَا أَكْلُهُمَا﴾ ، أَيُّ : أَخْرَجَتْ ثَمَرَهَا ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أَيُّ : وَلَمْ تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئًا ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ أَيُّ : وَالْأَنْهَارُ مُتَمَرِّقَةٌ فِيهِمَا هَاهُنَا وَهَاهُنَا . ﴿وَكَاثَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ قِيلَ : الثَّمَارُ ﴿فَقَالَ﴾ أَيُّ : صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ ﴿لِصَاحِبِهِ وَهُوَ مُخَوَّرُهُ﴾ أَيُّ : مُجَادِلُهُ وَمُخَاصِمُهُ يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ وَيَتَرَأَّسُ : ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أَيُّ : أَكْثَرُ خَدَمًا وَحَشَمًا وَوَلَدًا .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أَيُّ : بِكُفْرِهِ ، وَتَمَرُّدِهِ ، وَتَكْبِيرِهِ ، وَتَجَبُّرِهِ ، وَإِنْكَارِهِ الْمَعَادَ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وَذَلِكَ اغْتِرَارٌ مِنْهُ ، لِمَا رَأَى فِيهَا مِنَ الزَّرُّوعِ وَالثَّمَارِ وَالْأَشْجَارِ ، وَالْأَنْهَارِ الْمُطْرِدَةِ فِي جَوَانِبِهَا وَأَرْجَائِهَا ، ظَنَّ أَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَفْرُغُ وَلَا تَهْلِكُ وَلَا تَتَلَفُ ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ وَضَعْفِ يَقِينِهِ بِاللَّهِ ، وَإِعْجَابِهِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، وَكُفْرِهِ بِالْآخِرَةِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أَيُّ : كَانَتْهُ ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أَيُّ : وَلَئِنْ كَانَ مَعَادٌ وَرَجَعْتُ وَرَمَدْتُ إِلَى اللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِي هُنَاكَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا لِأَنِّي مُحْظِي عِنْدَ رَبِّي ، وَلَوْلَا كَرَامَتِي عَلَيْهِ مَا أَعْطَانِي هَذَا .

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ مُخَوَّرُهُ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿١٧﴾ لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿١٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٢٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٢١﴾

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَمَّا أَجَابَهُ بِهِ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنَ وَأَعْظَمًا لَهُ وَزَاجِرًا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالْإِغْتِرَارِ : ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ الْآيَةُ ، وَهَذَا إِنْكَارٌ وَتَعْظِيمٌ لِّمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ جُحُودِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، وَهُوَ آدَمُ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ، وَلِهَذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ : ﴿لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أَيُّ : لَيْكُنْ أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِكَ ، بَلْ أَعْتَرِفُ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أَيُّ : بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَلَاً وَوَلَدًا﴾ هَذَا مُحْضِيضٌ وَحَثٌّ عَلَى ذَلِكَ ، أَي : هَلَّا إِذَا أَعْجَبَتْكَ حِينَ دَخَلْتَهَا وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا ، حَمِدْتَ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَعْطَاكَ مِنَ الْمَالِ أَوْ الْوَلَدِ مَا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرُكَ ، وَقُلْتَ : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤَيِّنَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾ أَي : فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾ أَي : عَلَى جَنَّتِكَ فِي الدُّنْيَا ، الَّتِي ظَنَنْتَ أَنَّهَا لَا تَبِيدُ وَلَا تَفْنَى ﴿ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ قَالَ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ : عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَطَرٌ عَظِيمٌ مُزْعَجٌ يُقْلَعُ زَرْعُهَا وَأَشْجَارُهَا ، وَهَذَا قَالَ : ﴿ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أَي : بَلَقْعًا تَرَابًا أَمْلَسَ لَا يَثْبُتُ فِيهِ قَدَمٌ . ﴿ أَوْ يُصْبِحُ مَآوَهَا غَوْرًا ﴾ أَي : غَائِرًا فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ ضِدُّ النَّابِغِ الَّذِي يَطْلُبُ وَجْهَ الْأَرْضِ ، فَالْغَائِرُ يَطْلُبُ أَسْفَلَهَا ﴿ أَوْ يُصْبِحُ مَآوَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ وَالْغَوْرُ : مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى غَائِرٍ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ .

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٦﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٧﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٨﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ بِأَمْوَالِهِ ، أَوْ بِثَمَرِهِ عَلَى الْقَوْلِ الْآخِرِ ، وَالْمَقْصُودُ : أَنَّهُ وَقَعَ بِهَذَا الْكَافِرِ مَا كَانَ يَحْذَرُ بِمَا خَوْفَهُ بِهِ الْمُؤْمِنُ ، مِنْ إِرْسَالِ الْحُسْبَانِ عَلَى جَنَّتِهِ الَّتِي اغْتَرَبَهَا وَأَلْهَنَهُ عَنِ اللَّهِ ﷻ ، ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ ، قَالَ قَتَادَةُ : يُصَفِّقُ كَفَّيْهِ مُتَأَسِّفًا مِثْلَهُمَا ، عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَذْهَبَهَا عَلَيْهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٦﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ ﴿ أَي : عَشِيرَةٌ أَوْ وَلَدٌ ، كَمَا افْتَخَرُ بِهِمْ وَاسْتَعَزَّ ﴾ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٧﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴿ هُنَالِكَ الْمَوَالَاةُ لِلَّهِ ، أَي : هُنَالِكَ كُلُّ أَحَدٍ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى مَوَالَاتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ إِذَا وَقَعَ الْعَذَابُ ﴾ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴿ أَي : جَزَاءً ﴾ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿ أَي : الْأَعْمَالُ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ ﷻ ثَوَابًا خَيْرٌ وَعَاقِبَتُهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ كُلُّهَا خَيْرٌ .

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿١٩﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا ﴿٢٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَأَضْرَبَ ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ ﴿ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فِي زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَانْقِصَائِهَا ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ أَي : مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ فَشَبَّ وَحَسَنَ ،

وَعَلَاهُ الزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنَّصْرَةُ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يَابِسًا ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ أَيُّ : تُعْرِقُهُ وَتَطْرَحُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ أَيُّ : هُوَ قَادِرٌ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَهَذِهِ الْحَالِ . ﴿الْأَمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كَقَوْلِهِ : ﴿زِينَتٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ حُزْنٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوْبًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ قَالَ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ : ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الصَّلَوَاتُ الْحُمُسُ . وَقَالَ آخَرُونَ : الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ : وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وَقِيلَ : هِيَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا .

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٦﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٧﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٨﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ﴿وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ [الطور : ٩-١٠] أَيُّ : تَذْهَبُ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَتَزُولُ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أَيُّ : بَادِيَةٌ ظَاهِرَةٌ ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ ، وَلَا مَكَانٌ يُوَارِي أَحَدًا ، بَلْ اخْتَلَقَ كُلُّهُمْ ضَاخُونَ لِرَبِّهِمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ . ﴿وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أَيُّ : وَجَمَعْنَاهُمْ ، الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالْآخِرِينَ ، فَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا لَا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا . ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا ، ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هَذَا تَقْرِيعٌ لِلْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُحَاطِبًا لَهُمْ : ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ أَيُّ : مَا كَانَ ظَنُّكُمْ أَنَّ هَذَا وَاقِعٌ بِكُمْ وَلَا أَنَّ هَذَا كَائِنٌ ، ﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أَيُّ : كِتَابُ الْأَعْمَالِ الَّذِي فِيهِ الْجَلِيلُ وَالْحَقِيرُ وَالْفَتِيلُ وَالْقَطْمِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أَيُّ : مِنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ أَيُّ : يَا حَسْرَتَنَا وَوَيْلَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِي أَعْمَارِنَا ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أَيُّ : لَا يَتْرِكُ ذَنْبًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَلَا عَمَلًا وَإِنْ صَغُرَ ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ، أَيُّ : ضَبَطَهَا وَحَفِظَهَا . ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

حَاضِرًا ﴿ أَيُّ : مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ . ﴾ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿ أَيُّ : فَيَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ ، بَلْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَرْحَمُ ، وَيَعْدُبُ مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يُجُورُ وَلَا يَظْلِمُ .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١٦﴾ يَقُولُ تَعَالَى مُنْبِئًا بَنِي آدَمَ عَلَى عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ وَلَأِبْيَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَمُقَرَّرًا لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ وَخَالَفَ خَالِقَهُ وَمَوْلَاهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُ وَابْتَدَأَهُ ، وَبِالْطَّافَةِ رَزَقَهُ وَغَدَّاهُ ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ وَالِإِبْلِيسَ وَعَادَى اللَّهَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ أَيُّ : لِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْرِيرُهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ أَيُّ : سُجُودٌ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ أَيُّ : خَانَهُ أَصْلُهُ ، فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَأَصْلُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّعَ بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ وَتَعَبَّدَ وَتَسَنَّكَ ، فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ وَعَصَى بِالْمُخَالَفَةِ . ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ أَيُّ : فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْفِسْقَ : هُوَ الْخُرُوجُ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُقَرَّرًا وَمُؤَبِّحًا لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَأَطَاعَهُ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ الْآيَةُ . أَيُّ : بَدَلًا عَنِّي ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ .

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ ۝

يَقُولُ تَعَالَى : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي عِبِيدُ أَمْثَالِكُمْ ، لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ، لَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا كَانُوا إِذْ ذَاكَ مُؤْجِدِينَ ، يَقُولُ تَعَالَى : أَنَا الْمُسْتَقِلُّ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَمُدَبِّرُهَا وَمُقَدِّرُهَا وَحَدِيدِ لَيْسَ مَعِيَ فِي ذَلِكَ شَرِيكٌ ، وَلَا وَزِيرٌ وَلَا مُشِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ قَالَ مَالِكٌ : أَعْوَانًا .

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿١٧﴾ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿١٨﴾ يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُخَاطَبُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ تَقْرِيعًا لَهُمْ وَتَوْبِيخًا : ﴿ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أَيُّ : فِي دَارِ الدُّنْيَا ، أَدْعُوهُمْ الْيَوْمَ يُنْقِذُونَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ مَهْلِكًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَادِيًا فِي

جَهَنَّمَ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا وُصُولَ هُمْ إِلَى آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا فِي الْآخِرَةِ ، فَلَا خَلَاصَ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْآخِرِ ، بَلْ بَيْنَهُمَا مَهْلِكٌ وَهُوَ عَظِيمٌ وَأَمْرٌ كَبِيرٌ . ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ أَي : أَنَّهُمْ لَمَّا عَابَنُوا جَهَنَّمَ حِينَ جِيءَ بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَإِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ تَحَقَّقُوا لَا مُحَالَةَ أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ الِهْمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ ، فَإِنَّ تَوَقُّعَ الْعَذَابِ وَالْخَوْفَ مِنْهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ عَذَابٌ نَاجِزٌ ، ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ أَي : لَيْسَ لَهُمْ طَرِيقٌ يَعْدِلُ بِهِمْ عَنْهَا ، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ يَقُولُ تَعَالَى : وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ وَوَضَّحْنَا لَهُمُ الْأُمُورَ وَفَصَّلْنَا مَا كُنِيَ لَا يَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ ، وَيَخْرُجُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى ، وَمَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَهَذَا الْفُرْقَانِ ، الْإِنْسَانُ كَثِيرُ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ وَالْمُعَارَضَةِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ وَبَصَّرَهُ لَطَرِيقِ النِّجَاةِ .

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَتُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَرُّدِ الْكُفَرَةِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ ، وَتَكْذِيبِهِمُ بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ الظَّاهِرِ مَعَ مَا يُشَاهِدُونَ مِنَ الْآيَاتِ وَالِدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ ، وَأَنَّهُ مَا مَنَعَهُمْ مِنْ إِتِّبَاعِ ذَلِكَ إِلَّا طَبَعُهُمْ أَنْ يُشَاهِدُوا الْعَذَابَ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ عِيَانًا ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ مِنْ غَشْيَانِهِمْ بِالْعَذَابِ وَأَخَذِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أَي : يَرَوْنَهُ عِيَانًا مُوَاجِهَةً وَمُقَابَلَةً . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أَي : قَبْلَ الْعَذَابِ مُبَشِّرِينَ مَنْ صَدَّقَهُمْ وَآمَنَ بِهِمْ ، وَمُنذِرِينَ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكُفَّارِ بِأَتَمِّهِمْ ﴿ وَتُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ﴾ أَي : لِيُضَعِفُوا بِهِ ﴿ الْحَقَّ ﴾ الَّذِي جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلِ هُمْ ﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا ﴾ أَي : اتَّخَذُوا الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ وَخَوَارِقَ الْعَادَاتِ ، الَّتِي بُعِثَ بِهَا الرُّسُلُ ، وَمَا أُنذِرُوهُمْ وَخَوَّفُوهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿ هُزُوًا ﴾ أَي : سَخِرُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَشَدُّ التَّكْذِيبِ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى : وَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، أَي : تَنَاسَاهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَلَمْ يُضِغْ لَهَا ، وَلَا أَلْقَى إِلَيْهَا بَالًا ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أَي : مِنْ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أَي : قُلُوبِ هَؤُلَاءِ ﴿ أَكِنَّةً ﴾ أَي : أَعْطَيْنَاهُ وَغَشَاوَةً ﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ أَي : لِئَلَّا يَفْهَمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْبَيَانَ ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ أَي : صَمًّا مَعْنَوِيًّا عَنِ الرَّشَادِ ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ أَي : رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ غَفُورٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [فاطر : ٤٥] . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْلُمُ وَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ ، وَرَبُّهَا هَدَى بَعْضَهُمْ مِنَ الْغَيِّ إِلَى الرَّشَادِ ، وَمَنْ اسْتَمَرَّ مِنْهُمْ فَلَهُ يَوْمٌ يَشِيبُ فِيهِ الْوَلِيدُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴾ أَي : لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيدٌ وَلَا مَعْدِلٌ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ أَي : الْأُمَمُ السَّالِفَةُ وَالْقُرُونُ الْخَالِيَةُ أَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ أَي : جَعَلْنَاهُ إِلَى مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ وَوَقْتٍ مُعَيَّنٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ، أَي : وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ، إِحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَشْرَفَ رُسُولٍ وَأَعْظَمَ نَبِيٍّ ، وَلَسْتُمْ بِأَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْهُمْ فَخَافُوا عَذَابِي وَنَذِرُ .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا نَدْنَاهُ غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

سَبَبُ قَوْلِ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ وَهُوَ - يُوشَعَ بْنِ نُونٍ - هَذَا الْكَلَامُ أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ

بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ مُوسَى ، فَأَحَبَّ الرَّحِيلَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لِفَتَاهُ ذَلِكَ : ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ أَي : لَا أَزَالُ سَائِرًا ﴿ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أَي : هَذَا الْمَكَانَ الَّذِي فِيهِ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ ، ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ أَي : وَلَوْ أَنِّي أُسِيرُ حُقُبًا مِنَ الزَّمَانِ . قِيلَ : سَنَّهُ ، وَقِيلَ : ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ : سَبْعُونَ خَرِيفًا .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أُمِرَ بِحَمْلِ حُوتٍ مَمْلُوحٍ مَعَهُ ، وَقِيلَ لَهُ : مَتَى فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّةٌ ، فَسَارَا حَتَّى بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وَهُنَاكَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا : عَيْنُ الْحَيَاةِ ، فَنَامَا هُنَاكَ وَأَصَابَ الْحُوتَ مِنْ رَشَاشِ ذَلِكَ الْمَاءِ فَاضْطَرَبَ ، وَكَانَ فِي مَكْتَلٍ مَعَ يُوْشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَطَفَرَ مِنَ الْمَكْتَلِ إِلَى الْبَحْرِ ، فَاسْتَيْقِظَ يُوْشَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَقَطَ الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ ، فَجَعَلَ يَسِيرُ فِي الْمَاءِ ، وَالْمَاءُ لَهُ مِثْلُ الطَّاقِ لَا يَلْتِمُ بَعْدَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ أَي : مِثْلَ السَّرَبِ فِي الْأَرْضِ . قِيلَ : صَارَ أَثَرُهُ كَأَنَّهُ حَجَرٌ . وَقِيلَ : جَعَلَ الْحُوتُ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا يَبَسَ حَتَّى يَكُونَ صَخْرَةً ، ﴿ فَمَّا جَاوَزَا ﴾ أَي : الْمَكَانَ الَّذِي نَسِيََا الْحُوتَ فِيهِ ، وَنَسَبَ النَّسْيَانُ إِلَيْهِمَا ، وَإِنْ كَانَ يُوْشَعُ هُوَ الَّذِي نَسِيَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا الْفُلُوكَ وَالْمَرْجَاتِ ﴾ [الرحمن : ٢٢] ، وَإِنَّمَا يُخْرَجُ مِنَ الْمَالِحِ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، فَلَمَّا ذَهَبَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَسِيَاهُ فِيهِ بِمَرَحَلَةٍ ﴿ قَالَ ﴾ مُوسَى ﴿ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا ﴾ أَي : الَّذِي جَاوَزَا فِيهِ الْمَكَانَ ﴿ نَصَبًا ﴾ يَعْنِي : تَعَبًا ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ قَالَ : ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ﴾ أَي : طَرِيقَهُ ﴿ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ ﴿ أَي : هَذَا هُوَ الَّذِي نَطْلُبُ ﴾ فَارْتَدَّا ﴿ أَي : رَجَعَا ﴾ عَلَى أَثَارِهِمَا ﴿ أَي : طَرِيقَهُمَا ﴾ قَصَصًا ﴿ أَي : يَقْصَصَانِ أَثَارَ مَشْيِهِمَا وَيَقْفَوَانِ أَثَرَهُمَا . ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ وَهَذَا هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ .

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧١﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ وَهُوَ الْخَضِرُ ، ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ سَوَّالٌ تَلَطَّفَ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِزْهَامِ وَالْإِجْبَارِ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَوَّالِ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ . وَقَوْلُهُ :

﴿ أَتَبِعُكَ ﴾ أَي : أَصْحَبُكَ وَأُرَافِقُكَ ﴿ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ أَي : بِمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ ، شَيْئًا أَسْتَرْشِدُ بِهِ فِي أَمْرِي مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ، فَعِنْدَهَا ﴿ قَالَ ﴾ الْحَضِرُ لِمُوسَى ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أَي : إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى مُصَاحَبَتِي ، لِمَا تَرَى مِنِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ ، لِأَنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَكُهُ اللَّهُ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ ، فَكُلُّ مِمَّا مُكَلِّفٌ بِأُمُورٍ مِنَ اللَّهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِي ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتُنْكِرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مَعْدُورٌ فِيهِ ، وَلَكِنْ مَا إِطْلَعْتَ عَلَى حِكْمَتِهِ وَمَصْلَحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي إِطْلَعْتُ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ ﴿ قَالَ ﴾ أَي : مُوسَى ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ أَي : عَلَى مَا أَرَى مِنْ أُمُورِكَ ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ أَي : وَلَا أَخَالِفُكَ فِي شَيْءٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ شَارَطَهُ الْحَضِرُ ﷺ ﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تُسَلِّنِي عَنْ شَيْءٍ ﴾ أَي : إِيذَاءً ﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أَي : حَتَّى أَبْدَأَكَ أَنَا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُحْبِرًا عَنْ مُوسَى وَصَاحِبِهِ وَهُوَ الْحَضِرُ : أَتَمَّهَا إِنْطَلَقَا لَمَّا تَوَافَقَا وَاصْطَحَبَا ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَنْكَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بِشَرْحِهِ وَبَيَانِهِ ، فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوَلٍ يَعْنِي : بِغَيْرِ أُجْرَةٍ ، تَكْرِمَةً لِلْحَضِرِ ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ وَلَجَجَتْ ، أَي : دَخَلَتْ اللَّجْجَةَ ، قَامَ الْحَضِرُ فَخَرَقَهَا وَاسْتَخْرَجَ لَوْحًا مِنَ الْوَاحِيهَا ثُمَّ رَفَعَهَا ، فَلَمْ يَمْلِكْ مُوسَى ﷺ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ مُنْكَرًا عَلَيْهِ ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ ، وَهَذِهِ اللَّامُ لَا مِ الْعَاقِبَةِ ، لَا لَامُ التَّعْلِيلِ . ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ قِيلَ : مُنْكَرًا ، وَقِيلَ : عَجَبًا ، فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ الْحَضِرُ ، مُذَكِّرًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الشَّرْطِ : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ يَعْنِي : وَهَذَا الصَّنِيعُ فَعَلْتَهُ قَصْدًا وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي إِشْتَرَطْتَ مَعَكَ أَنْ لَا تُنْكَرَ عَلَيَّ فِيهَا ، لِأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ بِهَا خُبْرًا ، وَلَهَا دَخُلُ هُوَ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ ﴿ قَالَ ﴾ أَي : مُوسَى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أَي : لَا تُضَيِّقْ عَلَيَّ وَلَا تُشَدِّدْ عَلَيَّ .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيًّا بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٩﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ

شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٦٧﴾

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ أَي: بَعْدَ ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ ، فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى ، وَآلَهُ عَمَدٌ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ . فَلَمَّا شَاهَدَ مُوسَى عليه السلام هَذَا أَنْكَرَهُ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَبَادَرَ ، فَقَالَ : ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أَي: صَغِيرَةً لَمْ تَعْمَلِ الْحُنْتَ ، وَلَا عَمِلْتُ إِنَّمَا بَعْدُ ، فَقَتَلْتُهُ ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ، أَي: بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لِقَتْلِهِ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ أَي: ظَاهِرُ النِّكَارَةِ . ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فَأَكَّدَ أَيْضًا فِي التَّذْكَارِ بِالْشَّرْطِ الْأَوَّلِ ، فَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى : ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أَي: إِنِ اعْتَرَضْتَ عَلَيْكَ شَيْءٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ﴿فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أَي: قَدْ أَعْذَرْتَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَنْتُبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٦٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمَا : أَمَّا انْطَلَقَا بَعْدَ الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ وَفِي الْحَدِيثِ : «حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِنَامَا»﴾ أَي: بُحَلَاءَ ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ إِسْنَادُ الْإِرَادَةِ هَاهُنَا إِلَى الْجِدَارِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ فِي الْمُحَدَّثَاتِ : بِمَعْنَى الْمِيلِ ، وَالْإِنْقِضَاؤُ : هُوَ السَّقُوطُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿فَأَقَامَهُ﴾ أَي: فَرَدَّهُ إِلَى حَالَةِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ رَدَّهُ بِيَدِهِ وَدَعَّمَهُ حَتَّى رَدَّ مِئْلَهُ ، وَهَذَا خَارِقٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى لَهُ : ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أَي: لِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُضَيِّفُونَا ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْمَلَ لَهُمْ مَجَانًّا ، ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أَي: لِأَنَّكَ شَرَطْتَ عِنْدَ قَتْلِ الْغُلَامِ ، أَنَّكَ إِن سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ، فَهُوَ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴿سَأَنْتُبُكَ بِتَأْوِيلِ﴾ أَي: بِتَفْسِيرِ ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ .

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٠﴾

هَذَا تَفْسِيرُ مَا أَشْكَلَ أَمْرُهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام مَا كَانَ أَنْكَرَ ظَاهِرُهُ ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْخُصْرَ عليه السلام عَلَى حِكْمَةٍ بَاطِنَةٍ فَقَالَ : إِنَّ السَّفِينَةَ إِنَّمَا خَرَقْتُهَا لِأَعِيبَهَا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلِكٍ مِنَ الظُّلَمَةِ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ﴾ أَي: جَيِّدَةٍ ﴿غَصْبًا﴾ ، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ لِأَرَدُّهُ عَنْهَا لِعِيبِهَا ،

فَيَنْتَفِعُ بِهَا أَصْحَابُهَا الْمَسَاكِينُ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ يَنْتَفِعُونَ بِهَا غَيْرَهَا ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُمْ أَتَيْنَاهُمْ .
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿١٧﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ
يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿١٨﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ
الْخَضِرُ طَبْعَ يَوْمٍ طَبْعَ كَافِرًا » ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أَيُّ :
يَحْمِلُهَا حُبَّهُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ . قَالَ قَتَادَةُ : قَدْ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وُلِدَ ، وَخَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ
قُتِلَ ، وَلَوْ بَقِيَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُمَا فَلْيَرَضْ امْرُؤٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ ، فَإِنْ قَضَاءُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا يَكْرَهُ خَيْرٌ
لَهُ مِنْ قَضَائِهِ فِيمَا يُحِبُّ . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ أَيُّ : وَلَدًا
أَزْكَى مِنْ هَذَا ، وَهُمَا أَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ .

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١٩﴾

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ الْقَرْيَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ قَالَ أَوَّلًا ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ ،
وَقَالَ هَاهُنَا : ﴿ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : أَنَّ هَذَا الْجِدَارَ إِنَّمَا أَصْلَحْتُهُ ،
لَأَنَّهُ كَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ فِيهِ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي ذُرِّيَّتِهِ وَتَشْمَلُ بَرَكَتُهُ عِبَادَتِهِ هُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
بِشَفَاعَتِهِ فِيهِمْ ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُمْ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لِتَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ . ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾ ، هَاهُنَا أَسْنَدَ الْإِرَادَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ بُلُوغُهُمَا الْحُلُمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ
إِلَّا اللَّهُ ، وَقَالَ فِي الْغُلَامِ : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ﴾ وَقَالَ فِي السَّفِينَةِ : ﴿ فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعْيِيَهَا ﴾ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ أَيُّ : هَذَا الَّذِي
فَعَلْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِمَنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، وَالْوَالِدِ
الْغُلَامِ ، وَالْوَالِدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، أَيُّ : لَكِنِّي أُمِرْتُ بِهِ وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ ،
وَفِيهِ دَلَالَةٌ لِمَنْ قَالَ بِبُؤَةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أَيُّ : هَذَا تَفْسِيرُ مَا
ضَمَّتْ بِهِ ذَرْعًا ، وَلَمْ تَصْبِرْ حَتَّى أَخْبَرَكَ بِهِ ابْتِدَاءً ، وَلَمَّا أَنْ فَسَّرَهُ لَهُ وَبَيَّنَّهُ وَوَضَحَهُ وَأَزَالَ
الْمُشْكَلَ قَالَ : ﴿ تَسْطِعُ ﴾ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ الْإِشْكَالُ قُوْيًا ثَقِيلًا فَقَالَ : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ

عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١٠﴾ فَقَابِلِ الْأَثْقَلَ بِالْأَثْقَلِ وَالْأَخْفَ بِالْأَخْفِ .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ^ط قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١١﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿١٢﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿١١﴾ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴿١٢﴾ أَيُّ : عَنْ خَبْرِهِ . قَالَ الْبَعْضُ : كَانَ مَلِكًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ ، لِأَنَّهُ مَلَكَ الرُّومَ وَفَارِسَ . وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أَيُّ : أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا مَكَّنَّا ، فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْتَى الْمُلُوكُ مِنَ التَّمَكِينِ وَالْجُنُودِ وَالْآلَاتِ الْحَرْبِ وَالْحِصَارَاتِ ، وَهَذَا مَلَكَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْعِبَادِ ، وَخَدَمَتْهُ الْأُمَمُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَهَذَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ : أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنِي الشَّمْسِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا . ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ : يَعْنِي : عَلِيمًا . وَقِيلَ : تَعْلِيمُ الْأَلْسِنَةِ ، كَانَ لَا يَغْزُو قَوْمًا إِلَّا كَلَّمَهُمْ بِلِسَانِهِمْ . وَهَكَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ يَسِّرَ اللَّهُ لَهُ الْأَسْبَابَ ، أَيُّ : الطَّرِيقَ وَلَوْ سَائِلَ .

فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿١٣﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴿١٤﴾ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ^ط قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿١٥﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴿١٦﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿١٧﴾

قَالَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : ﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ مَنْزِلًا وَطَرِيقًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ سَبَبًا ﴾ قَالَ : طَرِيقُ الْأَرْضِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : أَيُّ : اتَّبَعَ مَنَازِلَ الْأَرْضِ وَمَعَالِمَهَا ، وَقَالَ آخَرُونَ : عَلِيمًا . ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾ أَيُّ : فَسَلَكَ طَرِيقًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى مَا يُسَلِّكُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ ، وَهُوَ مَغْرِبُ الْأَرْضِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أَيُّ : رَأَى الشَّمْسَ فِي مَنْظَرِهِ تَغْرُبُ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَهَذَا شَأْنٌ كُلُّ مَنْ انْتَهَى إِلَى سَاحِلِهِ ، يَرَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِيهِ ، وَهِيَ لَا تُفَارِقُ الْفَلَكَ الرَّابِعَ الَّذِي هِيَ مُثَبَّتَةٌ فِيهِ لَا تُفَارِقُهُ ، وَالْحَمِئَةُ : مُسْتَقَّةٌ عَلَى إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ مِنَ الْحُمَاةِ ، وَهُوَ : الطِّينُ ، وَقِيلَ : (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يَعْنِي : حَارَةً . ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴾ أَيُّ : أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ ، ذَكَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً عَظِيمَةً مِنْ بَنِي آدَمَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ مَعْنَى هَذَا : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

مَكَّنَهُ مِنْهُمْ وَحَكَمَهُ فِيهِمْ وَأَظْفَرَهُ بِهِمْ ، وَخَيْرُهُ إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَسَبَى ، وَإِنْ شَاءَ مِنْ أَوْ فَدَى ، فَعَرَفَ عَدْلُهُ وَإِيمَانُهُ فِيمَا أَبْدَاهُ عَدْلُهُ وَبَيَّانُهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ أَي : اِسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَشُرْكِهِ بِرَبِّهِ ﴿ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴾ أَي : شَدِيدًا بَلِيغًا وَجِيعًا أَلِيمًا ، وَفِي هَذَا إِبْتِثَاتُ الْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ ﴾ أَي : تَابَعَنَا عَلَى مَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى ﴾ أَي : فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ قِيلَ : مَعْرُوفًا .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٣١﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٣٣﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا فَسَارَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى مَطْلَعِهَا ، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ بِأُمَّةٍ قَهَرَهُمْ وَعَلَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ فَإِنْ أَطَاعُوهُ وَإِلَّا أَذَّهْمُ وَأَرْغَمُ أَنَافَهُمْ وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْنَعَتَهُمْ ، وَاسْتَخْدَمَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ جُيُوشُهُ عَلَى قِتَالِ الْإِقْلِيمِ الْمُتَاخِمِ لَهُمْ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ ﴾ أَي : أُمَّةٍ ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أَي : لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يَكْنُهُمْ ، وَلَا أَشْجَارٌ تُظِلُّهُمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . ﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : عَلِمَا . أَي : نَحْنُ مُطْلِعُونَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ جَيْشِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهَا شَيْءٌ ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أُمَمُهُمْ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٣٤﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٣٥﴾ قَالُوا يَبْنَآ الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٣٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٣٧﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٣٨﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذِي الْقَرْيَتَيْنِ : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أَي : ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ وَهُمَا جَبَلَانِ مُتَنَاوِحَانِ بَيْنَهُمَا ثَغْرَةٌ يُخْرُجُ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عَلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، فَيَعِيشُونَ فِيهَا فَسَادًا وَيُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ أَي : لِاسْتِعْجَامِ كَلَامِهِمْ وَبُعْدِهِمْ

عَنِ النَّاسِ ﴿ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْيَتَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ عَنْ
 ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَجْرًا عَظِيمًا . يَعْنِي : أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَا لَا
 يُعْطُونَهُ إِلَّايَهُ ، حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ، فَقَالَ ذُو الْقَرْيَتَيْنِ بِعَقَّةٍ وَدِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ وَقَصْدٍ لِلْخَيْرِ :
 ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أَيُ : إِنَّ الَّذِي أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّمَكُّنِ خَيْرٌ لِي مِنَ الَّذِي
 تَجْمَعُونَهُ ، وَلَكِنْ سَاعِدُونِي ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أَيُ : بِعَمَلِكُمْ وَأَلَاتِ الْبِنَاءِ . ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
 ١٥ ﴾ أَتَوْنِي زُبْرَ الْحَدِيدِ ﴿ وَالزُّبْرُ : جَمْعُ زُبْرَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنْهُ ، قَالَهُ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَهِيَ
 كَاللَّبَنَةِ . ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أَيُ : وَضَعَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الْأَسَاسِ ، حَتَّى إِذَا
 حَاذَى بِهِ رُءُوسَ الْجَبَلَيْنِ طَوْلًا وَعَرْضًا . ﴿ قَالَ أَنْفِخُوا ﴾ أَيُ : أَجْجَ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى صَارَ كُلُّهُ
 نَارًا ﴿ أَتَوْنِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ هُوَ التُّحَاسُ الْمَذَابُ .

فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿ ١٦ ﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا
 جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿ ١٧ ﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي
 بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ﴿ ١٨ ﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ : أَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ يَصْعَدُوا مِنْ فَوْقِ هَذَا السَّدِّ ،
 وَلَا قَدَرُوا عَلَى نَقْبِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ وَلَمَّا كَانَ الظُّهُورُ عَلَيْهِ أُسْهِلَ مِنْ نَقْبِهِ ، قَابِلٌ كُلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ ،
 فَقَالَ : ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نَقْبِهِ ،
 وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ . ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي ﴾ أَيُ : لِمَا بَنَاهُ ذُو الْقَرْيَتَيْنِ ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي ﴾
 أَيُ : بِالنَّاسِ ، حَيْثُ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَائِلًا ، يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعَبَثِ فِي الْأَرْضِ
 وَالْفَسَادِ ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أَيُ : إِذَا اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ أَيُ : سَاوَاهُ بِالْأَرْضِ
 ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ أَيُ : كَانُوا لَا مُحَالَةَ . ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ هَذَا أَوَّلُ يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ ثُمَّ ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ ﴿ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ﴾ ، وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ :
 ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ قَالُوا : إِذَا مَاجَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَلِطُ الْإِنْسُ
 وَالْجِنُّ . ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ وَالصُّورُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ قُرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ وَالَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ﴾ أَيُ : أَحْضَرْنَا الْجَمِيعَ لِلْحِسَابِ ﴿ وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿ ١٩ ﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي
 وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿ ٢٠ ﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي
 أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴿ ٢١ ﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَفْعَلُهُ بِالْكَفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَغْرِضُ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمَ أَيُّ : يُبْرِزُهَا لَهُمْ وَيُظْهِرُهَا ؛ لِيرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ قَبْلَ دُخُولِهَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ . ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ أَيُّ : تَغَافَلُوا وَتَعَامَوْا وَتَصَامَعُوا عَنْ قَبُولِ الْهُدَى وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ ، ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ أَيُّ : لَا يَسْمَعُونَ عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَائِهِ ﴾ أَيُّ : اِعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَصْلُحُ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَتَنَفَّعُونَ بِهِ ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مریم : ٨٢] ، وَلِهَذَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَزِلًا .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا عَآئِنَتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٦﴾

هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَدَّ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِيهَا ، وَأَنَّ عَمَلَهُ مَقْبُولٌ وَهُوَ مُحْطِئٌ وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ ﴾ أَيُّ : نُخْبِرُكُمْ ﴿ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُمْ . فَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أَيُّ : عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مَرْضِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ أَيُّ : يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ مُحْبُّوْنَ . ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ أَيُّ : جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ، وَبَرَاهِينَهُ الَّتِي أَقَامَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَصَدَّقَ رُسُلِهِ ، وَكَذَّبُوا بِالْدارِ الْآخِرَةِ ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ أَيُّ : لَا نُثْقِلُ مَوَازِينَهُمْ ؛ لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ عَنِ الْخَيْرِ ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا ﴾ أَيُّ : إِنَّمَا جَازَيْنَاهُمْ بِهَذَا الْجَزَاءِ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلَهُ هُزُوًا ، اسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ وَكَذَّبُوهُمْ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾

مُخْبِرٌ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ السُّعَدَاءِ ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ ، أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ قَالَ مُجَاهِدٌ : الْفِرْدَوْسُ هُوَ : الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ الْبُسْتَانُ الَّذِي فِيهِ شَجَرُ الْأَعْنَابِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا ، وَفِي

الصَّحِيحُ : « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطَ الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ تَزَلَّجَ ﴾ أَي : ضَيَّافَةً ، فَإِنَّ التَّزَلَ : الضَّيَّافَةَ . ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ أَي : مُقِيمِينَ سَاكِنِينَ فِيهَا لَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا أَبَدًا ﴿ لَا يَتَغَوَّنَ عَنْهَا حَوْلًا ﴾ أَي : لَا يَحْتَارُونَ عَنْهَا غَيْرَهَا وَلَا يُجْبُونَ سِوَاهَا .

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٥﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَا مُحَمَّدُ : لَوْ كَانَ مَاءُ الْبَحْرِ مِدَادًا لَلْقَلَمِ الَّذِي يُكْتُبُ بِهِ كَلِمَاتُ اللَّهِ وَحُكْمِهِ وَأَيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ ، لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ كِتَابَةِ ذَلِكَ ﴾ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ ﴾ أَي : بِمِثْلِ الْبَحْرِ آخَرُ ثُمَّ آخَرُ ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، بُحُورٌ تَمُدُّهُ وَيُكْتُبُ بِهَا ، لَمَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - : ﴿ قُلْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْمَاضِي ، عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَخَبَرِ ذِي الْقُرْبَيْنِ ، مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، لَوْلَا مَا أَطْلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَخْبَرْتُكُمْ ﴾ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ ﴿ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ أَي : ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحِ ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللَّهِ ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرَادُّ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَهَذَانِ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ صَوَابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

آخِرُ سُورَةِ الْكَهْفِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ

آيَاتُهَا ٩٨ تَفْسِيرُ سُورَةِ مَرْيَمَ مَكِّيَّة

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قِصَّةِ الْهَجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ مَكَّةَ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَرَأَ صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ .